***Journal of Religion & Society* (JR&S)**
Available Online:
https://islamicreligious.com/index.php/Journal/index
Print ISSN: 3006-1296Online ISSN: 3006-130X
Platform & Workflow by: Open Journal Systems
https://doi.org/10.5281/zenodo.17101956

Prophet Shu'ayb (peace be upon him) and his multiple messages: An analytical study of the differing descriptions and the destruction of his people in light of the Qur'an

سيدنا شعيب عليه السلام ورسالاته المتعددة: دراسة تحليلة لاختلاف أوصاف ومهلكات قومه في ضوء القرآن

Abdul Majeed
PhD Candidate ,Department of Qur'an and Sunnah Studies ,International Islamic University Malaysia (IIUM)
Email :abdulmajeedgul@gmail.com
Awais Khan
Master in the Department of Fiqh and Usul Fiqh, international Islamic University Malaysia
owaisjan223@gmail.com
Sadheer Khan (Mufti Muhammad Hassan)
PhD Research Scholar, International Institute of Islamic thought and civilization (ISTAC), International Islamic University Malaysia (IIUM),
mh417884@gmail.com
Awais Ud din Khan
PhD Research Scholar, International Institute of Islamic thought and civilization (ISTAC), International Islamic University Malaysia (IIUM)
khanawaisuddin@gmail.com

Abstract
This study explores the differing descriptions of the people associated with Prophet Shuʿayb (peace be upon him) in the Qur'an, where they are referred to as the people of Madyan in some verses and the companions of al-Ayka in others. The research investigates whether these designations refer to two distinct nations or one, through a comparative analysis of Qur'anic narratives and classical tafsīr (exegesis). The findings align with the majority scholarly view that the variation in terminology reflects contextual emphasis rather than indicating separate communities, thereby underscoring the Qur'an's rhetorical and thematic richness. The study also addresses the apparent differences in the punishment narratives, showing how they contribute to a unified thematic message.

***Key words**: Prophet Shoaib, People of Madyan and Companion of Alayka, Punishment Narratives of Prophet Shuaib's People, Contextual Interpretation in the Quran, Multiple Prophetic Missions in the Quran, Quranic Narrative Rhetoric*

ملخص

يتناول هذا البحث مسألة تعدد رسالة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم، حيث يرد ذكر رسالته إلى أهل مدين في مواضع، وإلى أصحاب الأيكة في مواضع أخرى. وتتشابه الأوصاف بين القومين في بعض الجوانب وتختلف في أخرى، كما يختلف نوع العذاب المذكور لكلٍ منهما، مما دفع بعض المفسرين إلى القول بأن شعيبًا عليه السلام أُرسل إلى قومين مختلفين، بينما خالفهم جمهور العلماء. وقد قمت باستقراء الآيات التي تتحدث عن أحوال قوم شعيب عليه السلام، وتحليلها، واستنباط الأدلة التي استند إليها كل فريق من المفسرين. ثم رجّحت رأي الجمهور القائل بوحدة القوم، مبينًا أوجه الترجيح، ومفسرًا التباين في الأوصاف والعذاب في ضوء السياق القرآني. وتوصل البحث إلى أن شعيبًا عليه السلام أُرسل إلى قوم واحد، سُمّوا بـــأهل مدين نسبة إلى المكان، وأصحاب الأيكة نسبة إلى ما في بيئتهم من الأشجار الكثيفة.

الكلمات المفتاحية: شعيب عليه السلام، أهل مدين وأصحاب الأيكة، أصحاب الرس، بلاغة القرآن في القصص، تعدد الرسالات في القرآن، القياس القرآني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسلهم لهداية الناس، ففاز من اقتدى وهلك من تولى، بعث الله الرسل والنبيين إلى أقوام، والعادة أن لكل قوم نبيا وخص لكل رسول منقبة ليس لغيره، حتى أرسل إلينا خاتم النبين عليه أفضل الصلوات والتسليمات الذي أرسل إلى كافة الناس نذيرا وبشيرا، وهو رحمة للعالمين للإنس والجن فرسالته عالمية إلى يوم القيامة. وهل هناك غيره أرسل إلى قومين أو أقوام؟ فنعم! هناك استثناء، كإبراهيم عليه السلام أرسل إلى قومه فلما لم يؤمنوا به سافر إلى الشام، لكن لم يذكر القرآن تعدد رسالته، أما أخبار قوم شعيب عليه السلام في القرآن الكريم فيختلف بعضها عن بعض وكذلك تسميتهم، لذا يسأل: هل رسالته متعددة أم واحدة؟ وهل أرسل إلى قوم أو أقوام؟ أحاول أن أجيب عن هذا السؤال في هذا المقال.

ذكر شعيب عليه السلام وقومه في القرآن

ورد اسم شعيب –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– في القرآن إحدى عشرة مرة[1]، وورد ذكر قومه في تسع سور: الأعراف، التوبة، هود، الحجْر، الحج، الشعراء، ص، ق، العنكبوت، سموا بأهل مدين في خمس سور، وبأصحاب الأيكة[2] في أربعة سور، وهناك من فسر أصحاب الرس بقوم شعيب وهم مذكورون بهذا الاسم بدون أي تفصيل في سورتي الفرقان وق، و لم يذكر في القرآن صراحة ولا إشارة أنهم قوم شعيب.

الآيات التي تذكر قصة شعيب عليه السلام

وردت أخبار قوم شعيب بالتفصيل في ثلاث سور:

منها ما ذكر أن شعيبا على نبينا وعليه الصلاة والسلام بعث إلى أهل مدين في سورتين: الأعراف وهود.

قال الله تعالى في سورة الأعراف:

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ

الْحَاكِمِينَ (87) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (90) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ

وقال الله عز وجل في سورة هود:

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84) وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86) قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90) قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91) قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92) وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (93) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95)

وذكر في سورة الشعراء أن شعيبا عليه السلام أرسل إلى أصحاب الأيكة، فقال الله عزوجل:

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190)

فهل كانت دعوة شعيب عليه السلام لقوم اختلفت أسمائهم وأوصافهم أو كانت لقومين مختلفين تماما؟

للإجابة على هذا السؤال أولا سننظر إلى أحوال أهل مدين وأصحاب الأيكة في هذه الآيات القرآنية، حتى نعرف ما ذا كان متشابها فيهم وما ذا كان مختلفا، وما يظهر من القرآن فهو الآتي:

أحوال قوم شعيب في القرآن

1- نسبة شعيب عليه السلام إليهم

القرآن الكريم لما ذكر أهل مدين فوصف شعيبا عليه السلام بأخ لهم قال تعالى في سورة الأعراف وهود كليهما: "وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا"، ولما ذكر أصحاب الأيكة لم يجعله أخا لهم: قال تعالى في سورة الشعراء: "كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ

(176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ(177)" فيشير هذه الآيات أنه من قوم مدين نسبا و لم يكن من أصحاب الأيكة ،كما قال العلامة جلال الدين السيوطي في تفسير هذه الآية {إذ قال لهم شعيب}: لم يقل لهم أخوهم لأنه لم يكن منهم."[3]

2- دعوة شعيب عليه السلام لهم

دعى شعيب عليه الصلاة والسلام أهل مدين إلى التوحيد وإصلاح الأعمال، فقال تعالى في سورة الأعراف: "وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" ودعى أصحاب الأيكة إلى الرسالة وإصلاح الأعمال، كما جاء في سورة الشعراء: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181)"

3- المنكرات في قوم شعيب التي نهى عنها نبيهم

يعلم من آيات سورة الأعراف وهود أن أهل مدين كانوا يشركون بالله وينقصون في الكيل والميزان ويبخسون في إعطاء الناس حقوقهم، ويفسدون في الأرض فيقعدون على الطرق ويخيفون الناس ويمنعون المؤمنين عن دين الله. ويعلم من سورة الشعراء أن أصحاب الأيكة كانوا يكذبون شعيبا عليه السلام، وينكرون رسالته؛ قالوا: "وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ" وكانوا ينقصون الكيل والميزان و يبخسون من حقوق الناس ويفسدون في الأرض.

4- جواب القوم لنبي لهم

في سورتي الأعراف وهود أهل مدين كذبوا شعيبا و لم ينتهوا عما يعملون وأوعدوه بالنفي والرجم وفي سورة الشعراء أصحاب الأيكة كذبوا شعيبا عليه السلام و لم ينتهوا عما يفعلون وطلبوا بالعذاب إن كان ما يقوله حقا.

5- رد شعيب عليه السلام بعد إنكار قومه

يعلم من هذه السور الثلاثة أنه أوعدهم بعذاب الله وطلب من الله أن يحق الحق بإظهار قدرته، فأجاب الله دعاءه.

6- نوعية عذاب الله على قوم شعيب

ذكر في سورة الأعراف وكذلك في سورة العنكبوت أن أهل مدين أخذتهم الرجفة وفي سورة هود أنهم أخذتهم الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين وخلت ديارهم كأن لم يكن هناك أحد يسكن من قبل.

وفي سورة الشعراء أتي عذاب يوم الظلة على أصحاب الأيكة بدون أي تفصيل له. وقد ورد تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "فتح الله عليهم بابا من جهنم، فأرسل عليهم حرا شديدا، فأخذ بأنفاسهم و لم ينفعهم ظل ولا ماء، فكانوا يدخلون الأسراب؛ ليتبردوا فيها، فإذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر، فخرجوا هربا إلى البرية، فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلتهم، فنادى بعضهم بعضا أن ايتوا فاستظلوا، فهي الظلة، فوجدوا لها بردا ونسيما حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم، أهبها الله عليهم نارا، ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، وصاروا رمادا."[4]

بعد استنتاج هذه الأحوال من القرآن الكريم يظهر اختلاف يسير وتشابه كبير في أوصاف أهل مدين وأصحاب الأيكة.

تعيين قوم شعيب

نظرا إلى ما سبق من التفاصيل نقل عن المفسرين رأيان في تعيين قوم شعيب:

الرأي الأول: كانوا قومين مختلفين مع تشابه في أوصافهم؛ لذا ننظر الاختلاف في تسميتهم وأحوالهم، كما لم ينسب أصحاب الأيكة إلى مدين وهذا يدل على أنهم قوم مستقل، وأصابهم عذاب يوم الظلة بخلاف ما أصاب أهل مدين من صيحة ورجفة، واستدلوا من الروايات التفسيرية في ذلك، منها:

أخرج ابن كثير رحمه الله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان، بعث الله إليهما شعيبا النبي، عليه السلام." قال: وهذا غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفا."[5]

وأخرج أبو جعفر الطبري رحمه الله عن قتادة رحمه الله يقول: "بعث شعيب إلى أمتين إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة."[6]

وأخرج ابن كثير عن السدي وعكرمة: "ما بعث اللهُ نبيا مرتين إلا شعيبا مرة إلى مدينَ فأخذهُم الله بالصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم اللهُ بعذاب يومِ الظلة."[7]

وهذا الذي رجحه ابن عاشور رحمه اللهُ تعالى في تفسيره مع بيان الوجوه، فقال: "والأظهر أن أهل الأيكة قبيلة غير مدين فإن مدين هم أهل نسب شعيب وهم ذرية مدين بن إبراهيم من زوجه قطورة سكن مدين في شرق بلد الخليل كما في التوراة فاقتضى ذلك أنه وجده بلدا مأهولا بقوم فهم إذن أصحاب الأيكة فبنى مدين وبنوه المدينة وتركوا البادية لأهلها وهم سكان الغيضة. والذي يشهد لذلك ويرجحه أن القرآن لما ذكر هذه القصة لأهل مدين وصف شعيبا بأنه أخوهم، ولما ذكرها لأصحاب ليكة لم يصف شعيبا بأنه أخوهم إذ لم يكن شعيب نسيبا ولا صهرا لأصحاب ليكة، وهذا إيماء دقيق إلى هذه النكتة. ومما يرجح ذلك قوله تعالى في سورة الحجر "وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين"، فجعل ضميرهم مثنى باعتبار أنهم مجموع قبيلتين: مدين وأصحاب ليكة."[8]

والرأي الثاني: وهذا ما قاله الجمهور: إنهم قوم واحد سموا تسميتين؛ لتشابه الأحوال واتحاد الزمان والمكان مع إمكان التوفيق فيما اختلفت من الأحوال، فإن الآيات المختلفة لتكمل القصة وليس لتمييزها عن الأخرى، فوصفهم بشيء في مقام وبشيء آخر في مقام آخر عندما تكرر القصة حتى لا يمل منها القارئ.

قال ابن كثير رحمه الله: "أصحاب الأيكة: هم قوم شعيب. قال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: الأيكة: الشجر الملتف. وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان. فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريبا من قوم لوط، بعدهم في الزمان، ومسامتين لهم في المكان؛ ولهذا قال تعالى: {وإنهما لبإمام مبين} أي: طريق مبين."[9]

جواب استدلالات ابن عاشور

وأما ما أتى به ابن عاشور رحمه الله من وجوه الترجيح مستدلا من القرآن فجوابه أن إثبات القرآن أخوة شعيب من قومه عند تسميتهم بأهل مدين؛ وهي نسبتهم إلى قبيلتهم هو إثبات نسبه منهم، وعدم ذكر أخوة شعيب عليه السلام لقومه في تسميتهم أصحاب الأيكة، –وهي نسبة إلى معبودهم الباطل كتسمية أصحاب الرس وقوم تبع وقوم فرعون وكما يقال لبني إسرائيل عبدة العجل وللهنود عبدة الأوثان–؛ لأنهم يعبدون تلك الشجرة فنفاه عنهم، فالنقطة فيه تبرئته من أعمالهم الشركية وإن كان منهم نسبا. وأما ضمير التثنية في الأية "وإنهما لبإمام مبين"، فالمراد منه مدين أصحاب الأيكة وسدوم قوم لوط الذين ذكرت قصة هلاكهم قبلهم في سياق القرآن.

نعم! نوع العذاب الذي أصاب أصحاب الأيكة مختلف تماما عن العذاب الذي أصاب أهل مدين، وهو عذاب يوم الظلة موافقا لطلبهم: " فأسقط علينا كسفا من السماء"، كما مر تفصيله في رواية ابن عباس رضى الله عنه.

الجمع بين أنواع العذاب على قوم شعيب

ومع كل هذا التفصيل لا يمتنع الجمع بين عذاب وعذاب، فإنها أنواع العذاب اجتمعت عليهم حتى محاهم عن الأرض، وهذا ما قال الله تعالى " كأن لم يغنوا فيها" يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "قد اجتمع عليهم ذلك كله: أصابهم عذاب يوم

الظلة،" وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم"[10] وهم استحقوا كل هذه النقم من العذاب فلما هددوا نبي الله بالنفي من القرية استحقوا رجفتها، ولما أساءوا قولا أسكتهم الصيحة، ولما طلبوا إسقاط كسف من السماء ناسبهم عذاب يوم الظلة إلى هذا أشار ابن كثير رحمه الله عندما تكلم عن سر نشر هذه النقم في أماكن مع أنها أتت مجتمعة، قال: "وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: {لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا} [الأعراف:88] ، ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: {فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين} [الشعراء:189] ، قال {فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم} [الشعراء:189] ، وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة، ولله الحمد والمنة كثيرا دائما."[11] وهذه حكمة تفرق أنواع العذاب في سور مع أنها واقعة في وقت ومكان وعلى قوم، كما هو دال على بلاغة القرآن وتفننه لبيان متكرر لحادثة.

قصة قوم شعيب عليه السلام كاملا

وإذا أمكن الجمع بين كل أحوال سواء أثبتها القرآن لمدين أو أصحاب الأيكة فكانت القصة بتفصيلها هكذا: أن قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون مدين، وكانت الأرض ذات أشجار ملتفة؛ لذا سموا بأصحاب الأيكة، كما أن هناك شجرة يقال لها أيكة يعبدونها، وكان شعيب عليه السلام ولد فيهم، فكان منهم نسبا إلا أنه لما سمى الله قومه بأصحاب الأيكة لم ينسب شعيبا إليهم لأنهم عابدونها، فبرأه الله منهم[12]، وكانوا يشركون بالله ويعملون السيئات فدعاهم النبي شعيب عليه السلام إلى توحيد ربه وقبول رسالته فأبوا ذلك إلا الذين آمنوا مع شعيب عليه السلام، ومن أعمالهم السيئة وفسادهم في الأرض أنهم ينقصون الميزان ويبخسون الناس أشياءهم ويقعدون على الطرق فيغيرون على المارين ويخيفونهم ويمنعون المؤمنين عن سبيل الله، فلما نهاهم عن ذلك لم ينتهوا بل صاروا يهددون شعيبا عليه السلام ومن معه بالنفي والرجم ويطلبون منهم ما يوعدون به من العذاب، فدعا شعيب عليه السلام ربه فأخذهم الله في يوم الظلة بصيحة شديدة حتى ارتجفت بهم الأرض وأمطر عليهم نارا من السحابة التي أظلتهم، فكان عذاب يوم عظيم، وبهذا التفصيل توافق كل ما جاء في الآيات سواء ذكرت أهل مدين أو أصحاب الأيكة فثبت القول أنهم قوم واحد.

الخاتمة:

بعد نظر عميق في آيات قرانية ودراسة مستفيضة لأحوال قوم شعيب في القرآن، ينتج أن ما ورد في القرآن أحوال مختلفة منتشرة لقوم واحد، وهو تنوع في العرض القرآني مع أن دعوة شعيب واحدة و لم يتعدد رسالته، فكان مبعوثا إلى قوم يسكنون في مدين ويسمون بأهل الأيكة، تشعب ذكرهم في القرآن بحسب سياقات متعددة، مما يعكس بلاغة التعبير القرآني، وشموليته في عرض جوانب القصة بأساليب متنوعة توفر الهداية والبيان. وهذا هو الأظهر نصا والأرجح دليلا وإن تعددت الأقوال.

---

[1] محمد عبد الشافي القوصي، روعة الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم: سيدنا شعيب نموذجا، شبكة الألوكة، https://www.alukah.net/sharia/0/130454/ قال: "وردت أخبار قوم شعيب في خمس سور." لا أدري لما اقتصر عليها، ولم يذكر الست الأخرى.

[2] "الأيكة: الشجر الكثير الملتف، وقيل: هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر، وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه، وقيل: الأيكة جماعة الأراك، وقال أبو حنيفة: قد تكون الأيكة الجماع من كل الشجر حتى من النخل" (لسان العرب لجمال الدين ابن منظور الأنصاري: 394/10)

[3] جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين،دار الحديث – القاهرة، ص: 490

[4] محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، دار طيبة للنشر والتوزيع: 258/3

[5] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع: 159/6

[6] ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) ، مؤسسة الرسالة: 393/19

[7] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 159/6

[8] ابن عاشور، تفسير التنوير والتحرير: 87/18

[9] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 544

[10] المرجع السابق : 3/ 449

[11] المرجع السابق : 4/ 347

[12] المرجع السابق: 6/ 158، قال: "أصحاب الأيكة: هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها."